الحدث

شوقي عشقوتي

زلزال سياسي إقليمي مركزه إيران: "آخر حروب" المنطقة... وأخطرها

انه الزلزال المتواصل فصولا وارتدادات منذ "طوفان الاقصى" في كل انحاء الشرق الاوسط ومركزه هذه المرة إيران. الشرق الاوسط الذي يشهد تحولات جيوسياسية عميقة وعملية اعادة تشكيل على وقع حرب مدمرة ستكون آخر الحروب وستفتح صفحة الشرق الاوسط الجديد

نجح الرئيس الاميركي دونالد ترامب في استعراض القوة واقامة أكبر حشد عسكري اميركي في منطقة الشرق الاوسط منذ العام 2003 عندما حصل الاجتياح الاميركي للعراق. لكنه لم ينجح في اخضاع ايران وجعلها تنصاع لاتفاق بشروطه التي تصدرها الملف النووي مع صفر تخصيب وصفر تخزين، وتضمنت ايضا ملف الصواريخ الباليستية وفرض قيود على حجمها ومداها، اضافة الى نفوذ ايران الاقليمي او ما يعرف بالأذرع والحلفاء.

اوجد ترامب لنفسه مبررات العمل العسكري ليس فقط لتغيير سلوك النظام الايراني، بل حتى للعمل على اسقاطه امام الرأي العام الاميركي. استنزف الرئيس الاميركي السبل الديبلوماسية، وان كان قد اعطى ايران فرصة للتوصل الى حل، لكن المطالب التي حملها الاميركيون الى الايرانيين لم يكن المرشد علي خامنئي ليقبل بها.

ما وصل الى ايران من مطالب كانت ايضا ضمن المبررات لاستخدام الالة العسكرية الاميركية ضد طهران، ولاطلاق يد بنيامين نتنياهو لاستكمال ما بدأه في جولة الـ12 يوما في حزيران الماضي:

- الوقف الكامل لعمليات تخصيب اليورانيوم على الاراضي الايرانية، في مقابل رفع واشنطن لجزء وازن من العقوبات عن ايران وتزويدها بالوقود النووي مجانا.
- تحديد مدى الصواريخ الباليستية الايرانية بـ600 كلم كحد اقصى.
- وقف تمويل الوكلاء والاذرع في الشرق الاوسط وتفكيك بنيتهم العسكرية في لبنان والعراق واليمن.
- لكن الشرط الرابع الذي لم يخرج الى الاعلام كان المطالبة بتنحي المرشد علي خامنئي واستبداله بشخصية اخرى.

رغبت ايران في التكيف مع الواقع الجديد وفي اعادة تموضع ولكن الوقت داهمها، وهي تفتقد الى المرونة والسرعة لسببين على الاقل:

اولا، تركيبة نظامها الديني العقائدي المتراص الذي يصعب عليه التنازل، واذا قرر ذلك يسير في اتجاهه بخطوات متثاقلة مترددة.

ثانيا، حجم التنازلات المطلوبة منها والشروط الاميركية "التعجيزية" التي تعادل "طلب الاستسلام" وتجعل النظام يفقد "هويته ومبرر وجوده". ولما فشلت المفاوضات ووصلت الى طريق مسدود بسبب التصعيد الاميركي والتحريض الاسرائيلي، فان ايران بدت مستعدة للذهاب الى الحرب، خصوصا بعدما تبين لها ان كلفة الحرب ستكون اقل من كلفة الاستسلام.

كان الاميركيون يعلمون جيدا ان خامنئي لن يقبل بهذه الشروط. وان قبل بها فسيكون كمن يوقع ورقة استسلام تؤتي ثمار ما جاء به ترامب من الة عسكرية الى منطقة الشرق الاوسط من دون ان يضطر الى استخدامها.

كان واضحا ان هذا التحشيد العسكري لم يتم بناؤه لاستخدامه ورقة ضغط على طاولة المفاوضات، وانما لشن حرب اميركية ـ اسرائيلية مشتركة نجحت في استخدام عنصر المفاجأة وفي الضربة الاولى الموجعة التي قضت على المرشد الاعلى علي خامني وقادة كبار، وركزت عبر قوة نارية هائلة على ضرب مراكز القيادة ومنصات الصواريخ، ونجحت في ارباك وضعضعة قوى النظام وقدرات التحكم والقيادة.

في المقابل، جهد النظام الايراني في استيعاب وامتصاص الضربة الاولى، وفي اظهار قدر من التماسك والتصميم على المواجهة، ولعب ما تبقى من اوراق قوة بين يديه، وتحديدا ترسانة الصواريخ الباليستية والمسيرات الهجومية، اضافة الى توسيع نطاق الحرب ونشر الفوضى في ارجاء المنطقة، ورفع كلفة الحرب وتحويلها الى "حرب اقليمية". وهنا فجرت ايران احدى مفاجآت الحرب بأن اطلقت صواريخ في انحاء دول الخليج، البحرين والامارات وقطر والكويت، وايضا السعودية، تحت عنوان مهاجمة القواعد الاميركية المنتشرة في هذه الدول.

لكن الصواريخ والمسيرات الايرانية سقطت في قلب المدن واصابت مبان سكنية، واصابت ايضا العلاقات الايرانية ـ الخليجية بجروح بليغة. فالدول الخليجية فوجئت وصدمت بالهجمات الايرانية التي تتعارض مع اجواء الانفتاح وادوار الوساطة التي قامت بها في السنوات الاخيرة. اما ايران، فإنها ارادت عبر تحويل دول الخليج الى ساحة حرب وتصفية حسابات دفع هذه الدول كي تمارس ضغوطا على الولايات المتحدة لوقف الحرب التي باتت تهدد امن واستقرار واقتصادات المنطقة. في

> **الحرب تحدد مستقبل ايران والشرق الاوسط نحو نظام اقليمي جديد**

المقابل، افاد الاميركيون من تصعيد طهران لتأليب الراي العام الاقليمي والدولي ضدها، ولتبرير الحملة العسكرية المفتوحة، والذهاب بها في اتجاه هدف محدد هو تغيير النظام من دون تحديد ماهية وكيفية هذا التغيير، وهل يكون من داخل النظام القائم ومع قيادة جديدة وفق النموذج الفنزويلي، او عبر نسف النظام الحالي واقامة نظام جديد.

بدأت اسرائيل والولايات المتحدة الحرب الجديدة ضد ايران من حيث انتهت حرب الـ12 يوما. الحرب التي توقفت في حزيران الماضي فجأة ولم تحقق اهدافها، واستكملت في آخر يوم من شباط 2026، واستهلت باغتيال المرشد الاعلى علي خامنئي.

السيناريو ذاته تكرر في الحرب الثانية التي حصلت ايضا في ظل "مفاوضات جارية". في المرة الاولى وجه ترامب انذارا لايران وحدد مهلة معينة، ولم تأخذ ايران الامر على محمل الجد، وانما كانت مأخوذة بمفاوضات خادعة. كما ان اغتيال خامنئي جرى ايضا وفق السيناريو الذي اتبع في اغتيال السيد حسن نصرالله في ضاحية بيروت الجنوبية. الاغتيالان حصلا في اوقات متشابهة عصر الجمعة وصباح السبت ونهايات شباط (28) وايلول (27) والتضليل اعتمد في الحالين عبر زيارتين: زيارة نتنياهو الى نيويورك التي خدعت حزب الله... وزيارة روبيو (وزير خارجية اميركا) الى اسرائيل التي خدعت ايران.

اغتيال خامنئي حدث كبير اطلق شرارة الحرب واحدث زلزلا في منطقة الشرق الاوسط. هذا الحدث هو من ثمار وتداعيات "طوفان الاقصى" حرب غزة التي لا تزال تتوالى فصولا وتداعيات، وسقوط خامنئي يتجاوز بدرجات سقوط صدام حسين في العراق وسقوط الاسد ونظامه في سوريا. هذا الاغتيال يدخل إيران في مرحلة جديدة ويضع نظام الجمهورية الاسلامية في مرحلة "العد العكسي"، لأن ايران ما بعد خامنئي لن تكون مثلما ◄

كانت معه وقبله. هذا الاغتيال يغير في مسار ايران ومستقبلها، والتغيير الايراني يغير مسار الشرق الاوسط ومستقبله.

يتبين الان ان الرئيس ترامب استخدم المفاوضات للتضليل ولاستكمال بناء واعداد المسرح العسكري والحشد غير المسبوق في الشرق الاوسط. هذه الحرب بـ"قيادة اميركية" و"هندسة اسرائيلية"، والقرار في شأنها اتخذ في خلال زيارة نتنياهو الاخيرة الى واشنطن في كانون الاول الماضي والاعداد لها جرى في خلال زيارة رئيس الاركان الاسرائيلي ايال زامير الى واشنطن منتصف كانون الاول الماضي. ولم يكن ينقص الا تحديد ساعة الصفر بعد اكتمال الخطط والاستعدادات التي تكفل نجاح العملية العسكرية الواسعة، لأن اهدافها تتجاوز مجرد الضغط على ايران او السعي الى تغيير متعذر في سلوكها، وتطمح الى تغيير النظام. الكل انشغل بالرئيس ترامب وقراره وفاتهم

ترامب استخدم المفاوضات اليساسية لاعداد المسرح العسكري

طهران اختارت بين السيئ والاسوأ: الحرب او الاستسلام

دور نتنياهو الحاسم وراء الستارة، وهو نجح في اقناع الرئيس الاميركي بهذه الحرب ودفعه اليها. ونجح على الارجح في اقناعه بأن يكون هدف الحرب ليس اخضاع النظام الايراني وتغيير سلوكه، وانما اسقاطه وتغييره. ليصبح السؤال: كيف يحصل ذلك، وهل من الممكن ان ينجح؟!

الرئيس ترامب يتطلع الى حرب سريعة تقاس بالايام والاسابيع، ويعلم تماما ان ايران تريد استدراجه وايقاعه في حرب واسعة مترامية الاطراف اقليميا، وتراهن من جهة على اشتداد المعارضة الداخلية (داخل اميركا) للحرب وللرئيس اذا تعاظمت الخسائر البشرية في صفوف القوات الاميركية. كما تراهن على تعاظم الضغوط الخليجية والدولية على واشنطن كي توقف الحرب. لذلك، لم تتردد ايران في استهداف عواصم الخليج، وليس فقط القواعد الاميركية، وغامرت في خسارة ما كان لدى دول الخليج من دور وساطة ومن

مشاعر تعاطف انقلبت الى مشاعر عداء... يمكن للرئيس ترامب ان يفكر بـ"النموذج الفنزويلي". هناك قطع رأس النظام وتعاطى مع قادة جدد في النظام... ولكن ايران ليست فنزويلا وقطع رأس النظام لا يكفي لوضع اليد على النظام والسيطرة عليه. لا يستطيع ترامب ان يفكر بالنموذج العراقي او الافغاني عندما اقدمت الولايات المتحدة على اجتياحات برية وتمركز الالاف من جنودها. هذا ليس واردا ابدا في حسابات ترامب الذي كان وصل الى البيت الابيض على اساس وعود بأن "اميركا اولا"، وانه لن يذهب الى حروب جديدة. وبما ان اسقاط النظام لا يمكن ان يتم من الجو حصرا ويلزمه وجود على الارض، فان ترامب يمكن ان يراهن على قوى ايرانية تلاقي الحملة الاميركية من الداخل، واما ان تكون قوى عسكرية على تواصل مع الاميركيين، او ان تكون قوى شعبية اعطاها ترامب حوافز وظروفا مشجعة للتحرك.

اما اذا اثبت النظام الايراني قدرة على الصمود وعلى توسيع الحرب وتعميم اضرارها وخسائرها في كل المنطقة، واذا تحول الى هدف وقف الحرب وفرص العودة الى طاولة المفاوضات وتغييره هدفا كافيا للخروج رابحا من هذه الحرب، فان ترامب سيكون امام خيارين: اما العودة الى المفاوضات في ظل

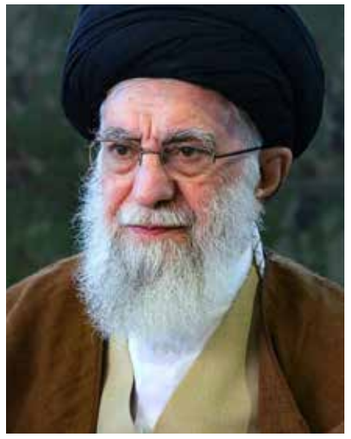

وضع لا يعطيه انتصارا كاملا واضحا، واما ان يترك ايران عرضة لتفاعلات وانقسامات داخلية تقودها الى الفوضى والتفكك وفق النموذجين السوري والليبي.

تنظر القيادة الاسرائيلية الى الحرب الحالية على ايران باعتبارها فرصة تاريخية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فهذه اول مرة في تاريخ اسرائيل تخوض فيها حربا بشراكة تامة مع جيش الولايات المتحدة العملاق، لتحقيق اهداف رئيس حكومتها بنيامين نتنياهو الشخصية والحزبية والمحلية والاقليمية. ومن المتوقع انه مهما تكن نتيجتها، فإنها ستلبي معظم احتياجاتها الانية. لقد بذل نتنياهو جهودا كبيرة في الاشهر الاخيرة، حتى يصل الى هذا الوضع. والحرب التي شنها في حزيران، كانت عمادا اساسيا في اقناع الرئيس الاميركي دونالد ترامب، وجيشه بضرورة ضرب ايران. بعد الحرب الاولى التي كشفت ضعف ايران عسكريا، وبعد ازمة داخلية اقتصادية وانتفاضة شعبية، اقتنع ترامب بأن ايران في اسوأ اوضاعها، وبأن حربا اخرى عليها ستكون اسهل من سابقتها، ومن شأنها ان تقوض النظام وتجدع اذرعه في المنطقة، ولا تعزز مكانة اسرائيل في الشرق الاوسط فحسب، بل تعيد لاميركا عظمتها في العالم، وهو شعار مناصري ترامب في حركة "ماغو".

يرى الاسرائيليون ان ايران وقعت في الفخ الذي نصبه لها الاميركيون والاسرائيليون، فلم تعمل على انجاح المفاوضات وواصلت تحدي الرئيس ترمب. وفيما تريد الولايات المتحدة من ايران اتفاقا نوويا وانعطافا في سياستها، فان اسرائيل تريد شيئا آخر هو: توجيه ضربة ماحقة للنظام الايراني واسقاطه، وتعزيز مكانة اسرائيل في الشرق الاوسط بحيث تصبح الدولة الاقوى.

الان، يحاول نتنياهو اقناع ترامب بأن تتحول الحرب الى هدف محدد هو اسقاط النظام الايراني كونه العقبة الاستراتيجية التي يعيق تقدم المشروع الاميركي في الشرق الأوسط، ويهدد مصالح الولايات المتحدة وامن المنطقة واستقرارها.

في نهاية المطاف، يعتبر ترامب الرئيس الاميركي الوحيد الذي تجرأ على ايران، ان بتمزيقه الاتفاق النووي في العام 2018 او باغتياله قاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" مطلع 2020. مع عودته الى البيت الابيض مطلع 2025، شاركت ادارته في حرب حزيران من تلك السنة. القت القاذفات الاميركية 14 قنبلة من النوع المتطور على المواقع النووية الايرانية الاساسية.

نشهد حاليا، من خلال هذه الحرب بداية زلزال جديد لا يقل اهمية عن الزلزال العراقي، لكن مع صعوبة التكهن بالنتائج التي ستترتب على الحدث في المنطقة كلها. سيكون مطروحا مصير دول معينة، بما في ذلك ايران نفسها حيث النظام يترنح. لم تعد المسألة مسألة ابتزاز العالم بالملف النووي. المسألة تتعدى ذلك بكثير وتشمل الصواريخ الباليستية ومنصاتها واذرع "الحرس الثوري" في المنطقة. واخيرا السلوك الداخلي للنظام، اي طريقة تعاطيه مع "الشعوب" الايرانية المتطلعة الى حد ادنى من الحرية والكرامة والازدهار والرفاهية.

استسلم النظام الايراني ام قرر المقاومة، لن يكون المطروح في ضوء الزلزال الآتي مصير ايران فحسب، بمقدار اعادة تشكيل المنطقة.